

دلائل الإعجاز

ولكن° لأن يتأتى لك إذا نظمت شعراً° والفت رسالة° أن تحسن° التخيّر° وأن تعرف لكل° من ذلك موضعه .

وأمر° آخر° إذا تأمل°ه الإنسان أن يف° من حكاية° هذا القول° فضلاً عن اعتقاده° وهو أن° المزيّة° لو كانت تجب° من أجل° اللغة° والعلم° بأوضاعها° وما أراد°ه الواضع° فيها لكان° ينبغي أن لا تجب° إلا بمثل° الفرق° بين الفاء° وثم° وإن° وإذا° وما أشبه° ذلك مما يعبر° عنه وضمع° لغوي . فكانت لا تجب° بالفعل° وترك° العطف° بالحذف° والتكرار° والتقديم° والتأخير° وسائر° ما هو هيئة° يُحدَثُها لك التأليف° ويقتضيها الغرض° الذي تؤم°° والمعنى الذي تقصد° وكان° ينبغي أن لا تجب° المزيّة° بما يبتدئه الشاعر° والخطيب° في كلامه° من استعارة° اللفظ° لشيء° لم يُستَعر° له وأن° لا تكون° الفضيلة° إلا في استعارة° قد تُعورفت° في كلام° العرب° وكفى بذلك جهلاً .

ولم يكن هذا الاشتباه° وهذا الغلط° إلا°° لأنه ليس في جملة الخفايا° والمشكلات° أغرب° مذهباً° في الغموض° ولا أعجب° شأناً° من هذه التي نحن° بصدد°ها ولا أكثر° تفلاً°تاً° من الفهم° وإن°سلاً° منها . وأن° الذي قاله العلماء° والبُلغاء° في صفتها° والإخبار° عنها رموز° لا يفهمها° إلا°° مَن° هو° في مثل° حالهم° مَن° لطف° الطبع° ومَن° هو مهَيّأ° لفهم° تلك الإشارات° . حتى كأن°° تلك الطباع° اللطيفة° وتلك الفرائج° والأذهان° قد تَواضعت° فيما بينها على ما سبيلُه سبيل° التّرجمة° يتواطأ° عليها قوم° فلا تَعْدُوهم° ولا يعرفُها مَن° ليسَ مِنْهم° .

وليت° شعري° مَن° أين° لمن° لَم° يتعب° في هذا الشأن° ولم يمارسه° ولم يوفّر° عنايته° عليه أن ينظر° إلى قول° الجاحظ° وهو يذكر° إعجاز° القرآن° : " ولو أن رجلاً قرأ على رجلٍ مَن° خُطباءهم° وبلغائهم° سورةً قصيرةً° أو طويلةً° لتبيّن° له في نظامها° ومخرجاها° مَن° لفظها° وطابعها° أنه عاجز° عن مثلها° ولو تحدّس° بها أبلغ° العرب° لأظهر° عجزه° عنها " وقوله° وهو يذكر° رواية°